﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التّوبة: 65]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرّبط بين خشية الافتضاح، وادّعائهم الخوض واللّعب بآيات الله

"لَمَّا وصَفَهم بالنّفاقِ حقَّقَه بِعدَمِ مُبادرتِهم إلى التّوبةِ الّتي هي فعْلُ المؤمنين، وباجْترائِهم على الإنكارِ مع كوْنِ السّائلِ لهم مَنْ بلغَ الغايةَ في الجلالِ والوقارِ والكمالِ، فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ أي وأنتَ مَن يَجبُ أن يُصَدِّقَه مَسؤولُه عمّا أخرجتِ السّورةُ ممّا أظهرُوا بينَهم منَ الكفرِ، وذلك حين قال بعضُهم: انظرُوا إلى هذا الرّجلِ يَظنُّ أنّه يَفتحُ قصورَ الشّامِ وحصونَها! هيهاتَ هيهاتَ! فأعلَمَه اللّه تعالى"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَخُوضُ﴾: الخَوْضُ "هو الشّروعُ في الماءِ والمُرورُ فيه، ويُستعارُ في الأمورِ، وأكثرُ ما ورد في القرآن ورد فيما يُذمُّ الشّروعُ فيه، نحوَ قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ﴾ [التوبة: 65]"[2]، "والخَوْضُ... من الكَلامِ: مَا فِيه الكَذِبُ والبَاطِلُ"[3]، وفي الأساسِ: "ومنَ المجاز: خاضُوا في الحديث وتخاوضُوا فيه، وهو يخوضُ مع الخائضين أي: يُبْطِلُ مع المُبْطِلين"[4]، فمرادُهم بـ ﴿نَخُوضُ﴾: "نهزلُ غيرَ جادّين في سلوكنا"[5].

2) ﴿وَنَلْعَبُۚ﴾: لعِبَ الشَّخصُ: عمِل عملاً لا ينفعُ، وعكسُه: جَدَّ. وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ [الزخرف: 83]، و﴿مَا يَأْتِيهِم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/516.
(2) الرّاغب، المفردات: (خوض).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (خوض).
(4) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (خوض).
(5) الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: (لعب).

مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: 2]، أي: يَستهزؤون، ويَهزلون، ولعِبَ الصبيُّ: تسلّى وقام بما يُلْهيه، لعب مع أصدقائه[1].

3) ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: الآيات جمعُ: الآية، و"الآيةُ: العَلامةُ، والآيةُ: مِن آيات اللّه، والجميعُ: الآيُ... والآياتُ"[2]، "وآياتٌ بيّناتٌ: أي: علاماتٍ وحُجَجًا، والآيةُ منَ القرآن: كلامٌ متَّصِلٌ إلى انقطاع، وقال اللّه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ [آل عمران: 41] أي علامةً: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾: علامتُك. والآيةُ: الشّيءُ العجبُ من قوله تعالى: ﴿يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [غافر: 13]، أي: عجائبَه، يقال: فلانٌ آيةٌ منَ الآيات أي عَجَبٌ مِن العَجَبِ"[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

"ولئن سألتَ يا محمّدُ هؤلاء المنافقين عن سببِ اسْتِهزائِهم بتعاليمِ الإسلام لَيقولُنَّ لك على سبيل الاعتذار: إنّما كنّا نفعلُ ذلك على سبيل المُمازحة والمُداعبةِ لا على سبيلِ الجِدِّ... فقل لهم يا محمّدُ - على سبيل التَّوبيخِ والتَّجهيل - ألم تجدُوا ما تَستهزئون به في مُزاحِكم ولَعِبِكم - كما تزعمون - سوى فرائضِ اللّه تعالى وأحكامِه وآياتِه ورسولِه الذي جاء لهدايتِكم وإخراجِكم منَ الظّلماتِ إلى النّور؟"[4].

الاعتذارُ بالمُمازحةِ والمُداعبةِ، لايُعفي منَ التّبعة والعقابِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ عطْفِ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾، على قوله ﴿يَحْذَرُ﴾:

عُطِفتْ جملةُ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ على التي قبْلَها للتّوسُّطِ

سَوْقُ الأخبارِ مَظنّة الوصْلِ، واستجلاء الكوامن المخبوءة

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (لعب).
(2) الخليل، العين: (أيا).
(3) البَندنيجي، الثّقفية في اللغة، ص: 705.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 6/340.

بين الكمالين - كمالِ الاتّصال وكمالِ الانقطاعِ -؛ لأنهما خبريَّتان يسوقُهما الذّكرُ الحكيمُ إلى النّبيِّ ﷺ من أخبار المنافقين، ويقولُ له: هؤلاء من أخبارِهم كذَا وكذَا.

بَلاغةُ التّعبيرِ بالقسَمِ، وجوابِه:

المنافقون لن يتردّدُوا بالكذِبِ، لأنّهم ألفوه واستمرؤوه

أسلوبُ القسَمِ في ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ وتوكيدُ الجوابِ في ﴿لَيَقُولُنَّ﴾؛ هو للنّعْيِ من أوّلِ الأمرِ على المنافقين، بأنّهم لن يتردّدُوا في الكذبِ الذى هو بضاعتُهم الرّائجةُ مع تغليظِ ذلك الكذبِ؛ بإخراجِه في أسلوبٍ قصْريٍّ مُؤكَّدٍ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[1].

سِرُّ تَقْييدِ سُؤَالِهِ تعالى بِأَدَاةِ الشَّكِّ (إنْ):

لا ينبغي للمُسلمِ أن يُضيِّعَ وقْتَه مع المنافقين، إذْ لا أمل في هدايتهم

أداةُ الشّرطِ إنْ مِنَ المرونةِ بحيثُ تتفاعلُ مع المَقاماتِ والسّياقاتِ بما يُحقّقُ الأغراضَ، وهنا يُقيِّدُ النّظمُ الكريمُ سؤالَ الرّسولِ ﷺ المنافقين بإنْ التي تُوحِي بدَلالتَيْن جَليلَتَيْن:

الأُولى: موافقةُ حالِ الرّسولِ ﷺ في التّعاملِ مع المُسيئين إليه من غَضِّ الطرْفِ وعدَمِ الاسْتقصاءِ، وقَبولِ الأعذارِ، ففيها حكايةُ طبيعتِه وأخلاقِه ﷺ، فقد كان حَيِيًّا لا يجرحُ أحدًا ولا يُخزيه بما فيه، ولعلّ هذا ما أغراهُم أنْ يقولوا: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾؛ ولأنّه ﷺ كان يقبلُ الأعذارَ ولا يتتبّعُ الأسرارَ.

الثّانيةُ: نَشْتَمُّ من إنْ توجيهًا قرآنيًّا مُغلَّفًا للرّسول الله ﷺ بعدَمِ تضْييعِ وقْتِ الدّعوةِ الثّمينِ في عتابِ المنافقين، بل عليه عدَمُ الاكتراث بهم، وإهمالُ شأنِهم؛ لأنّهم ليسُوا جديرين بالتّقدير، ومجرَّدُ تَوَجُّهِ الرّسول ﷺ إليهم بالسّؤالِ شرفٌ لا يَرْقَوْن إليه.

سِرُّ التّوكيدِ في جُملةِ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾:

توكيدُ جوابِ الشّرطِ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ مِن جهتَيْه - باللّام في أوّله

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/20 - 21.

القسَمُ يَشحذُ الذِّهنَ ويجعلُ النّفسَ أكثرَ ترقُّبًا

وبالنّون المُشدّدةِ في آخره - يَجعلُ مِن مَقولِ هذا القول جريمةً عظيمةً، ويَشحذُ الذِّهْنَ ويَشحِنُ النّفسَ لترَقُّبِ القولِ ماذا يكونُ؟ وإحاطةُ قوْلِهم من حوالَيْه بالتّوكيدِ يُزيلُ كلَّ احتمالٍ بطُهرِ نفوسِهم بأيِّ قَدْرٍ منَ الطُّهر، وذلك ممّا اقتَضَى حذْفَ المسؤولِ عنه قبْلَه كما سيأتي إنْ شاء اللّه تعالى.

بَلاغةُ حذْفِ المسؤول عنه في سياق السّؤال:

العِللُ الكاذبةُ يُناسبُها الحذْفُ لا الذِّكرُ

جُملةُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾، وفيه "حُذِفَ مُتَعَلِّقُ السُّؤَالِ لِظُهُورِهِ مِنْ قَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾. وَالتَّقْدِيرُ: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنْ حَدِيثِهِمْ فِي خَلَوَاتِهِمْ، أَعْلَمَ اللّه رَسُولَهُ بِذَلِكَ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوءَةِ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الآيَةُ قَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمُ الرَّسُولُ، وَأَنَّهُ لَمَّا سَأَلَهُمْ بَعْدَهَا أَجَابُوا بِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الآيَةُ"[1].

فسِياقُ الآيةِ الكريمةِ قرينةُ الحذْفِ هنا؛ ففي الآياتِ السّابقةِ صرَّحَ النّظمُ الكريمُ بأنّهم يَحلِفون كذِبًا، والسُّنّةُ الشّريفةُ تُعيِّنُ المحلوفَ عليه، وهو تَعلُّلُهم بعِلَلٍ كاذبةٍ في التَّخلُّف عنِ الغزوِ مع الرّسولِ ﷺ، وذِكْرُهم الرّسولَ ﷺ وأصحابَه الأطهارَ بالسُّوء، وبالكذبِ في أيمانِهم، والظّاهرُ أنَّ المسؤولَ عنه هنا طُوِي ولم يُذكَرْ للمُسارعة إلى ذِكْرِ العُذرِ الذي هو أقبحُ منَ الذَّنْبِ، وهو قولُهم ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

الغرَضُ منَ التّعبيرِ بأسلوبِ القصْرِ:

المنافقُ لا يجدُ ما يَستترُ به كذِبَه إلّا الكذِبَ

قوله تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، هذه الجملةُ مقولُ قولِهم المُؤكَّد ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، وهي جُملةُ اعتذارٍ يَعتذرُ بها المنافقون عمّا أظهرَه القرآنُ الكريمُ من تورُّطِهم في الأيمان الكاذبةِ وغيرِها، وهذا عُذْرٌ أقبحُ مِن ذنبٍ - كما سبق -، و"هكذا المنافقُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/250.

لا يجدُ ما يسترُ به نِفاقَه إلا الكذبَ، فهو كذِبٌ يَسترُ كذِبًا، ونفاقٌ يُداري نفاقًا"[1].

ويزيدُ هذا الاعتذارَ قُبْحًا تصديرُه بأداة القَصْرِ ﴿إِنَّمَا﴾ إذ تُفيدُ أنَّ ما كان منهم لم يَخرج عن كونِه ثرثرةَ مَسيرٍ "كَمَا يَخُوضُ الرَّكْبُ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ"[2]، "وَأَنَّهُ مِمَّا يَحْتَاجُهُ الْمُتْعَبُ مِنَ الارْتِيَاحِ إلى المَزْحِ وَالحَدِيثِ فِي غَيْرِ الجِدِّ"[3]، فلا أساسَ له من واقعٍ قلبيٍّ، كما تفيدُ ﴿إِنَّمَا﴾ إلى ذلك أنَّ كوْنَ ما ظاهرُه إساءةً ما هو إلَّا خوضٌ ولعبٌ، وأنَّ ذلك أمرٌ بيّنٌ لا يُشكُّ فيه، وأنّه منَ الأمور المُقرّرةِ في مثلِه؛ وعليه لم يحتشِدُوا له بالتّوكيد بطريق النّفْيِ والاستثناءِ مثلًا.

والقصرُ هنا للقلب؛ لأنَّ المنافقين يَردُّون به اعتقادَ الرّسولِ ﷺ وأصحابِه ويعكسُونَه، ويُنفون التّهمةَ بأنّهم كانوا جادّين قاصدِين إساءةَ الأدب، واختلاقَ العُذرِ للتخلُّف عنِ الغزو وغيرَهما، فضلا عمّا رآه التّحرير والتّنوير من أنّ "القَصْر هنا لِلتَّعْيِينِ: أَيْ: مَا تَحَدَّثْنَا إِلَّا فِي خَوْضٍ وَلَعِبٍ دُونَ مَا ظَنَنْتَهُ بِنَا مِنَ الطَّعْنِ وَالأَذَى"[4].

دَلالةُ التّعبير بالفعْلِ ﴿كُنَّا﴾ في سياق الآية:

جُملةِ ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، يبدو أنَّ خُبْثَ المنافقين استَجْلبَ الفعلَ الماضي ﴿كُنَّا﴾ الّذي يفيدُ الإسهامَ في إبعاد زمن الجرائم، وأنّه كان ولم يَعُدْ له في نفوسهم أثرٌ، وأنّهم استقامُوا على الطريقةِ، وإلّا لَقالوا: إنّما نخوضُ ونلعبُ بالمضارعة المَحْضةِ، وذلك ما يَتَحاشَوْنَه ولا يُريدون إشعارَ المخاطَبين منَ المؤمنين به؛ لِذلك زادُوا في الكلام الفعلَ ﴿كُنَّا﴾.

المنافقون يُراوِغون في كلامِهم؛ فيجبُ التّيقُّظُ لمَرامِي كلامِهم

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/834.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/94.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 10/251.
(4) ابن عاشور، التحرير والتّنوير: 10/250.

بَلاغةُ الاسْتعارةِ التّبَعيّةِ في لفظةِ: ﴿نَخُوضُ﴾:

المـنـافـقـون لا يُـوفَّـقـون في الاعْتِذارِ دائمًا

في لفظ ﴿نَخُوضُ﴾ اسْتعارةٌ تبعيّةٌ شَبَّه فيها لهْوَهم، ولعِبَهم بالاغتيابِ الآثمِ والاسْتهزاءِ الشّنيعِ بالخوضِ في الماء بجامعِ التّسليةِ، والعبَثِ، والمَرَحِ في كلٍّ منهما[1].

و"أصلُ الخوْضِ الدّخولُ في مائع مثلِ الماءِ والطّينِ، ثمّ كثُر حتى صار اسْمًا لِكلِّ دخولٍ فيه تلويثٌ وإيذاءٌ، فالمنافقون أرادوا: إنّما نلعبُ ونتلَهّى لِتَقْصُرَ مسافةُ السّفرِ بالحديثِ والمداعَبةِ كما يفعل الرّكْبُ ذلك لِقطْعِ الطَّريق، ولم يكنْ ذلك مِنَّا على طريق الجِدِّ"، فاسْتعارُوا الخوضَ لِتَجاذُبِ أطْرافِ الحديثِ على سبيل الفَضفَضةِ غيرِ مُنْعَقِدَةِ النيّةِ والقصدِ على ما يكون فيها من حديثٍ.

ولأنّ الخوضَ "لا يُستعملُ مجازًا إلّا في الباطل؛ لأنّ التّصرّفَ في الحقِّ إنّما هو على ترتيبٍ ونظامٍ، وأمورُ الباطل إنّما هي خوضٌ"[2]؛ ولأنّ "الخَوْضُ... في الكَلامِ مَا فِيه الكَذِبُ والبَاطِلُ"[3] – لذلك يُعدُّ اعتذارُهم بِلفظ الخوْض جريمةً في حدِّ ذاته، وكأنّهم لِسُوء نيَّتهم وتغلغُلِ الكذبِ في نفوسهم قد ذهلُوا – أمام صدمةِ المُفاجأةِ بكشْفِ أسرارِهم – فلم يُحسنوا اختيارَ لفْظِ الاعتذار؛ وسبقَ لسانُهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ تعبيرًا عمّا تحُوكُه دواخِلُهم، وَيُضْمِرُه وِجدانُهم، ولا شكّ أنّهم عربٌ يفقهون دلالاتِ الكلماتِ؛ ولا يفوتُهم جُرمُ الخوضِ (المجازيّ) الذي صاروا إليه؛ فما كانوا ليقولوه واعِين.

بَلاغةُ التّوكيدِ، بعطْفِ ﴿وَنَلْعَبْ﴾ على ﴿نَخُوضُ﴾:

تَـشـتـيـتُ القضيّة، وصرْفُ المخاطَب عنها، منهجُ المنافقين

مِن خُبث المنافقين في قولِهم ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبْ﴾ محاولةُ التّمويهِ بتشتيتِ التُّهمِ.. فبدأوا بالفعْلِ ﴿كُنَّا﴾ – كما سبقَ

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/21.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/57.
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (خوض).

التّوضيحُ-، ثم ثَنَّوْا بالفعْلِ ﴿نَخُوضُ﴾، ثم ثلَّثُوا بالفعْلِ ﴿وَنَلْعَبُۚ﴾.. يُحاولون بذلك حَلَّ عُقدةِ الإشكالِ القائمِ بتشتيتِ التّركيزِ، وإلا فعَطْفُ ﴿وَنَلْعَبُۚ﴾ على ﴿نَخُوضُ﴾ يَزيدُهم ورْطةً بعد ورطةٍ؛ فقد أذنبُوا ثمّ حلَفُوا كذِبًا، ثم اعتذرُوا قُبحًا، ثمّ زادوا الطّينَ بِلَّةً بِعطْفِ اللَّعِب على الخوْضِ، ولا يُتوقّعُ منهمُ الغباءُ بِتوريط أنفُسِهم إلى هذا الحدِّ المُزْرِي.

وجْهُ الفضْلِ في جُملةِ المصدّرة بلفظ ﴿قُلْ﴾ والاستفهام:

فُصِلتْ جملةُ ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ﴾... ﴿تَسْتَهْزِءُونَ﴾ عمّا قبْلها للاستئنافِ البيانيِّ؛ إذ يُوجِّهُ اللّه تعالى رسولَه ﷺ إلى الردِّ الأمْثلِ على اعتذارهم المُخادِعِ، إذ يُثيرُ الكلامُ السّابقُ في نفس الرّسول ﷺ سُؤالًا: وما الحُكْمُ فيهم؟ أو: وما العملُ معهم حين يقولون ذلك؟ فجاء الجواب: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ﴾.

بيانُ وجْهِ الجُرمِ الحقيقيِّ رادِعٌ للمُجرمين

من بلاغةِ الاسْتِفهامِ ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ في السّياق:

يُنكر على المنافقين استهزاءَهم ذلك، ويوبِّخُهم عليه، مُعَنِّفًا "أفهذا مقامٌ يخوض فيه الخائضون ويلعبُ اللّاعبون؟"[1]، والمنافقون لم يستهزئُوا باللّه تعالى، وإنّما كانت استهانتُهم بالأيمان الكاذبة؛ وبـ "القُرْآنُ، وَسَائِرُ مَا يَدُلُّ عَلَى الدِّينِ"[2]؛ إرضاءً للمؤمنين.

الاسْتِهزاءُ بآياتِ اللّه تعالى، استهزاءٌ باللّه تعالى، وهو أمرٌ عظيمٌ

تَوجيهُ حذْفِ المضافِ في الآيةِ:

أصلُ التّعبيرِ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ﴾: أَبِيَمِينِ اللّه... تستهزئون؟ لكنَّ النّظْمَ الكريمَ آثرَ حذْفَ المضافِ وإدخالَ همزةِ الاستفهامِ الإنكاريِّ التّوبيخيِّ على المضاف إليه مسبوقًا بحرف الجرِّ ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ مباشرةً، وذلك مع تقديمه يُفاقِمُ على المنافقين التّوبيخَ، ويُحقِّقُ عليهمُ الجريمةَ الكبرَى بذكْرِ لازمِ الاستهزاءِ بالأيمان -

مَن يَستهزئُ بالرّسولِ الكريم، فقد استَهزأَ باللّه العظيم

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/834.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/95.

وهو الاستهزاءُ باللّه تعالى - وهكذا يُوحِي حذفُ المضافِ وإقامةُ المضاف إليه مَقامَه بأنَّ مَن يستهزئُ بيمين اللّه تعالى ومن يَستهزئُ برسولِ اللّه ﷺ يكونُ حُكمُه حُكمَ منِ استهزأ باللّه تعالى مباشرةً؛ فـ "الاسْتِهْزَاءُ بِاللّه وَبِآيَاتِهِ إلْزَامٌ لَهُم؛ لأنّهم استهزأوا بِرَسُولِهِ وَبِدِينِهِ، فَلَزِمَهُمُ الاسْتِهْزَاءُ بِالَّذِي أَرْسَلَهُ بِآيَاتِ صِدْقِهِ"[1].

بَلاغةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور، في السّياق:

الاستهزاءُ بآياتِ اللّه تعالى، من أَسْـوأِ الـذّنـوبِ الّـتـي يَرتكبُها المنافقون

أصلُ تركيبِ هذه الجملةِ: قل أكنتم تَستهزئون باللّه وآياته ورسوله؟ غيرَ أنَّ جُرمَ الاستهزاءِ وخُطورتَه إنّما يتضاعفُ حين يتعلّقُ الاسْتهزاءُ بهذا المتعلِّقِ بخاصّةٍ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ "كَأَنَّهُ يَقُولُ هَبْ أَنَّكَ قَدْ تُقْدِمُ عَلَى الاسْتِهْزَاءِ وَلَكِنْ كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى إيقَاعِ الاسْتِهْزَاءِ فِي اللّه"[2]، فكان صدْرُ الجملةِ عقيبَ همْزةِ الاستفهام مكانَه الأنسبَ؛ لذلك وَلِيَ الهمزةَ مباشرةً.

ومنَ اللّافتِ أنّهم لم يقولوا: كنّا نَستهزئُ.. ليأتي اللّومُ: كنتم تَستهزئون، وإنّما ذُكرَ لازِمُ الخوضِ واللّعبِ وهو الاسْتهزاءُ من بابِ الكنايةِ عنِ الصّفةِ؛ لأنّ أمرَ الدِّين جِدٌّ كلُّه لا يحتملُ الخوضَ واللّعبَ.. فإذا خاضُوا ولعبُوا وأقرُّوا بذلك اعتذارًا قبيحًا كان دليلَ الاسْتهزاءِ وعدَمِ التّقدير، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللّه العليّ العظيم.

ويُفيدُ تقديمُ المُتعلِّقِ ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ عقبَ همزةِ الاسْتفهامِ الإنكاريِّ التّوبيخيِّ قلْبَ دعْواهُمُ الخوضَ واللّعبَ ويُقرّرُ كذِبَهم؛ في مقابلةِ قصْرِهم ما كان منهم على الخوضِ واللّعبِ، وقد سبقَ أنَّ قَصْرَهم في ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ﴾ كان للقلْبِ.

نُكتةُ التّقابُلِ بين ﴿كُنَّا نَخُوضُ﴾، و﴿كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾:

جاءتِ التّلاوةُ الكريمةُ بتقديمِ الفعْلِ ﴿كُنتُمْ﴾ في جُملةِ ﴿كُنتُمْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/251.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 16/94.

اللّومُ والتّوبيخُ عـلى وَفْـقِ الاعتذارِ الكاذبِ

﴿تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ليكونَ بإزاءِ تقديمِهم الفعْلَ ﴿كُنَّا﴾ حيث قالوا: ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ﴾؛ فوقع اللّومُ والتّوبيخُ على وَفْقِ الاعتذارِ الكاذبِ؛ لذا فإنَّ هذا التّقديمَ يُشيرُ إلى مَكْمنِ الخطرِ في استهزائِهم، ويُفْصحُ عن أنَّ الاقترابَ من هذه المنطقةِ محظورٌ، وكيف يَتجرّؤون على الاسْتهزاءِ بيمينِ اللّه تعالى، وبآياتِه الكريماتِ، وبرسولِه ﷺ؟ وهذا النّسَقُ النّظميُّ يتضمّنُ مَنهجًا في حوارِ الخُصومِ، هو التقاطُ خيوطِ توريطِهم وإلزامِهم الحُجّةَ من كلامِهم؛ إذ لمّا قدّموا ﴿كُنَّا﴾ قدّم جوابًا عليهم ﴿كُنتُمْ﴾، وهذا يذكّرنا بمَنهجِ رسولِ اللّه ﷺ إذ كان لا يَلتمسُ إسكاتَ الخصْمِ إلا بما يَعرفُه الخصْمُ[1].

(1) الرافعي، السُّمُوُّ الرّوحيّ الأعظمُ والجمالُ الفنّيُّ في البلاغة النّبويّة، ص: 13.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»